ذاكرة العرب

مجلة ربع سنوية - العدد الأول - يناير ٢٠١٩

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية

SPecial Projects
إدارة المشروعات الخاصة

الفهرس

تقديم	٣
نخل العراق	٤
النقود العربية في العصر العباسي	١٦
سيدة الغناء العربي أم كلثوم في أبوظبي	٣٦
أغنية صنعاء	٥٠
ملف خاص	
– زينة الخيول الأشورية وسروجها	٥٢
– ركوب الخيل في العصر العباسي الأول	٦٠
– مضمار وسباق الخيول في سامراء	٦٤
– أدب الفروسية في العصر المملوكي	٧٤
– إسطبلات أمراء المماليك بالقاهرة والعناية بالخيل	٩٨
– الأفراس المؤسسة للمرابط المصرية	١٠٨
– العقيلات ووجودهم في مضامير الفروسية في مصر	١٢٤
– نخبة عقد الأجياد في الصافنات الجياد	١٣٦
الحكاية الفلسطينية	١٤٠
تِطوان: المدينة الأندلسية في شمال المغرب بين الحاضر والماضي	١٤٢
سليل البوعبديل	١٤٨
البريد والطوابع في لبنان	١٥٦
ذاكرة العرب	١٦٤

المشرف العام
مُصْطَفى الفِقي
مدير مكتبة الإسكندرية

رئيس التحرير
خَالِد عَزَب

سكرتير التحرير
سُوزَان عَابِد

المراجعة والتصحيح اللغوي
فاطِمَة نَبيه
مُحَمَّد حَسَن

التصميم الجرافيكي والخطوط
الحَسَن عِصَام
خَالِد مُصْطَفى

الإسكندرية، يناير ٢٠١٩

ركوب الخيل في العصر العباسي الأول

بقلم: بيتي سيويرت – ماير
ترجمة: خلود سعيد

يُعد كتاب «الفروسية والبيطرة» لابن أخي حِزام (النصف الثاني من القرن التاسع) أقدم نص محفوظ باللغة العربية عن الخيل وعلاجها الطبي. ينقسم الكتاب إلى جزأين؛ يتناول الجزء الثاني حصريًّا الطب البيطري[1]، في حين يعد الجزء الأول دراسة شاملة عن الخيل؛ تبدأ بنصوص قرآنية ذات صلة، ويتبعها مقتطفات من الشعر العربي القديم.

(١) في بعض المخطوطات ينقسم الجزء الثاني إلى عدة أقسام؛ حيث يستفيض القسم الأول في وصف الأمراض، في حين يختص القسم الثاني بالعلاج. وفي مخطوطتين فقط معروفتين بخط يد الكاتب، يتبع العلاج كل مرض مباشرةً. يبدو أن النص الأصلي كان مرتبًا بالطريقة اللاحقة، لكن لا يمكننا الجزم بذلك إلا بعد فحص جميع المخطوطات الباقية.

المؤلِّف والنص

يذكر الكاتب في مقدمته أنه كان يسعى إلى جمع المعلومات المتوافرة اعتمادًا على معرفة أسلافه من العرب، بالإضافة إلى المصادر الفارسية والهندية، لكنه للأسف لم يذكر هذه المصادر عدا مصدر هندي واحد يسميه «جنى»، يدعي أنه اقتبس منه لاكتماله، بالرغم من أنه لا يصدق كل ما يقول. كان ابن أخي حزام ملمًّا ببعض المصادر اليونانية أيضًا[1]. أوضح جودموند بجورك أن ابن العوام (توفي ٥٨٠هـ/ ١١٨٥م) مؤلف كتاب «الفلاحة» قد ضمَّن مصادر يونانية متعددة مستندة إلى ابن أخي حِزام[2]؛ مما يفيد أن الأخير قد توافرت لديه ترجمات من اليونانية لأعمال عن الطب البيطري، واستخدمها في الجزء الثاني من كتابه.

أما مصادر الجزء الأول، فقد ضمت كتاب «الخيل» لأبي عبيدة، وهو عمل عن فقه اللغة أوضحه ابن أخي حِزام استنادًا إلى خبرته العملية؛ حيث أزال الشعر من نص أبي عبيدة، وأعاد ترتيب الفصول بشكل مختلف على النحو التالي:

- فصول عامة عن بنية جسد الخيول.
- فصل عن الفرق بين الحصان والفرس.
- فصل عن الحِجر وآخر عن المُهر، يتناولان أساسًا تحديد أعمارها وفقًا لعدد الأسنان.
- فصول عن الألوان والدوارات استنادًا إلى المصادر الهندية، يتبعها بضعة أسطر عن أنواع الصهيل والحمحمة.
- بعض الفصول عن الحمير والبغال (غير موجودة في كتاب أبي عبيدة)[3].
- تناولت الفصول الباقية علاج الخيول وتربيتها وتدريبها، وتضمنت قطعة عن إعداد الخيول للسباق.
- خمسة فصول عن ركوب الخيل.
- عدة فصول قصيرة عن ركوب الخيل العنيدة والسريعة.
- فصول عن تربية الخيول وإطعامها والعناية بالحوافر.
- قطعة صغيرة عن استخدام أدوات للخيل النازفة، ووصف تفصيلي عن عيوب كل جزء من أجزاء الجسم، مما يربط جزأي الكتاب أحدهما بالآخر.

تتبع معظم الأعمال اللاحقة عن الخيل الترتيب العام نفسه، ويشير بعض المؤلفين إلى اعتمادهم على كتاب ابن أخي حِزام، مثل ابن العوام، وأبي بكر بن بدر البيطار (توفي ٧٤١هـ/ ١٣٤٠م) مؤلف كتاب الناصري «كامل الصناعتين البيطرة والزردقة». وفي الحقيقة، فمقارنة فصل البيطار عن ركوب المهر مع باب رياضة الخيل لابن أخي حِزام تقول إنه اقتبس منه أكثر مما يشير.

اعتمد هذا البحث في قراءته لباب رياضة الخيل على ست مخطوطات، صدرت واحدة منها باسم الشهاب تاج الدين (توفي ٧٠٧ هـ/ ١٣٠٧م).

يُوضِّح النص أن اهتمام ابن أخي حِزام الأساسي كان أن يراعي المدربون الخيل ويعاملوها بلطف. وهدف هذا التدريب - كما وصفه - هو التحسين التدريجي من حيث التوازن والحمولة والطاعة في جميع السرعات، وخاصةً في المنحنيات. ونصح المدربين بالتطور خطوة بخطوة مع التأكد أن الحصان قد تمكن من الخطوة السابقة. ونصح ابن أخي حِزام باستخدام اللجام؛ لتعليم الخيل الطاعة، وتطوير مهارة التوازن، والقدرة على المشي في خط مستقيم. وكان أهم هدف للتدريب هو التوازن الجيد. واللجام هو أهم أدوات الفارس في هذا الصدد؛ لكن ابن أخي حِزام شدَّد على عدم استخدامه بقسوة حتى لا يتأذى فم الحصان وصحته العامة.

لم يُوضِّح الكاتب لماذا أصر على دروس معينة أو أهمية التوازن، لذا يصعب تحديد ما إذا كان مهتمًّا بصحة الخيل أو بالفارس. لكنه غالبًا ما اهتم بالاثنين بالقدر نفسه؛ فتحذيره المتكرر بالاهتمام بالحصان ومعاملته برفق يشير إلى اهتمامه بالحيوان، في حين تشير كل تعليمات تدريب الحصان للقفز إلى اهتمامه بالفارس في جميع المواقف. لكن يبقى ما عرفه ابن أخي حِزام عن تشريح الحصان، ووظائف أعضائه، وعلم النفس - موضعًا لبحث لاحق.

---

(١) بجورك ١٩٣٢. للمزيد من المعلومات الببليوجرافية، انظر شهاب الصرّاف «أدب الفروسية في العصر المملوكي».

(٢) انظر على سبيل المثال بجورك ١٩٣٢، حيث يضيف متوازيات جديدة بين النصوص العربية واليونانية.

(٣) يبدو أن الناسخين اللاحقين قد أجروا تعديلات على هذا الفصل بناءً على معرفتهم الشخصية.

منمنات من كتاب «البيطرة»، متحف طوب قابي سراي، إسطنبول.

يسمى بالرومية من يونيا يسخن بشراب ثم يسعط منه فانها
تنفع من الجنب من ساعتها الفرس اذا كان عقورا وقطى

ويستقبل به مجرى الماء قائما نافعا ٥ واللحم ايضا يوخط
من رجيع الانسان حارا كما يخرج منه ويخلط معه حمر عسيق

بعد ذلك ما شرب من الماء ليذهب الداء في جميع عروقه

ويحمل القفص والجمالة والفيس والدبالة انها لضعت على بالة فتضاعت تقش مدرجها

وتشد مدرجها كلما دانيتي قرنت بالرقعة درهما وقطعة وقلت لها ان رغبت في المشوف المعلم

واشرت الى الدرهم فوجي بالسر المدهم وان ابيت ان تشرحي فخذي القطعة وابيرحي

قالت الي استملاض البدر التم والأبلج الهمر وقالت دع جدالك وبيل عما بدالك فاسطعا

طلع الشيخ وبلدته والشعر وناتج بردته فقالت ان الشيخ من أهل بزوج وهو الذي وشى